

بعض ملامح التفاعل بين اللغتين الليبية (الأمازيغية العتيقة) والبونية خلال الفترة القرطاجية

عبد اللطيف الركيگ

باحث في التاريخ القديم وعلم الآثار-الرباط

ملخص

يندرج هذا المقال ضمن البحوث التي تروم إبراز بعض تجليات التفاعل اللغوي الذي حدث بين لغة الأمازيغ بشمال أفريقيا القديم ولغات الشعوب الوافدة على المنطقة. لقد أسفر اتصال الفينيقيين بسكان المنطقة وتأسيس قرطاج عند نهاية القرن 9 ق.م عن قيام علاقات لغوية متبادلة بين لغة المحليين ولغة المهاجرين الفينيقيين. و تبرز أهمية دراسة التطورات التي لحقت المعطيات اللغوية بالبلاد الأفريقية في الفترة القرطاجية من خلال رصد جوانب التأثير والتأثر التي تجلت -بالخصوص- في اللغة الأم للسكان الأمازيغ بالجزء الشرقي لشمال أفريقيا القديم. ويبحث هذا المقال في المجال الجغرافي والإطار الكرونولوجي لانتشار اللغتين البونية والليبية، كما يعالج العلاقات اللغوية التي نشأت بينهما على مستوى المعجم من خلال مقارنة ألفاظ اللغتين، ورصد التأثيرات المتبادلة بينهما.

تقديم

تمثل اللغة إحدى أبرز تجليات الحضارة التي بلورها الأمازيغ بشمال أفريقيا القديم، باعتبارها الوعاء الذي يكتنز مجموع الأفكار والمقولات والخبرات المادية وغير المادية التي راكمتها الساكنة على مدى حقبة زمنية طويلة. لقد أدخل الفينيقيون -بالطبع- لغتهم إلى البلاد الأفريقية التي استقروا بها، وخصوصا بالجزء الشرقي لشمال أفريقيا. ونرى أن وظيفة الدراسات التاريخية واللسانية ينبغي أن تنصب على البحث في المعطى اللغوي المحلي من خلال رصد أهم ملامح التفاعل الذي حصل بين لغة السكان الأصليين واللغة التي أدخلها الفينيقيون، واستعملها القرطاجيون.

1 التجاور بين اللغتين واستقلالهما عن بعضهما البعض

انتشرت اللغة البونية في عدد من مناطق شمال أفريقيا كما يتضح من انتشار النقائش المدونة بتلك اللغة بعدة مواقع بالمغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا¹. بيد أن أهم البقايا عثر عليها بالمجال المباشر للسيطرة القرطاجية². فقد تركزت بصفة عامة في قرطاج، وأوتيكا، وبعدها مواقع أخرى بالساحل الشرقي التونسي، ووسط وشمال غرب تونس، ومنطقة رأس بون. وهناك دلائل أخرى جهة الجنوب والشرق، وخصوصا بالجنوب الشرقي الصحراوي التونسي تطاوين (فنطر، 1999:4-5)، وبمواقع بالساحل الليبي (Levi Della Vida, 1966-1967: 9).

بادر كسيل (Gsell, S) إلى افتراض استعمال كل أفارقة المجال البوني الأفريقي للغة البونية في الميادين الإدارية والاقتصادية والعسكرية حتى ولو لم يتعلموها في المدارس (Gsell, 1929:108). بينما خلص باحثون آخرون من استقرار توزيع النقائش إلى اعتبار البونية ظاهرة حضرية (Ghaki, 1979: 90).

ودافع غاقي Ghaki, M عن تلك الخلاصة دون أن ينفي تداول البونية بالمجال الريفي. فقد فسّر الباحث عدم العثور على نقائش بونية بذلك المجال بإكراهات اقتصادية متمثلة في ارتفاع أتعاب الكتابة والنقاشين مقابل تواضع إمكانيات هؤلاء السكان (Ghaki, 1979: 90). إلا أن غياب آثار مادية بالمجال الريفي له معنى حتى ولو لم تكن هناك علاقة بين استعمال الكتابة وتداول اللغة. فمن الممكن تفسير انعدام النقائش ببطء تأثير اللغة البونية نحو داخل البلاد. ففي مقابل انتشارها بالسواحل والسهول، بقيت بعض المناطق لا سميا المناطق الجبلية بمعزل عن تلك الدينامية اللغوية بالنظر لاستمرار التقاليد اللغوية والحضرية الأصلية للسكان (Mercier, 200: 1924). فهل حافظ الأمازيغ في المدن والأرياف التي استقروا بها على لغتهم الأم أم تخلوا عنها بسبب تأثير اللغة البونية؟

إذا كان غياب النقائش البونية في عدة مناطق من المجال البوني الأفريقي قد يفسر بتمسك السكان بلغتهم الأصلية، فإن الاستناد فقط إلى توزيع النقائش قد يعطي

¹ تكثر النقائش - خارج المجال البوني الأفريقي - بشرق الجزائر (كلمة وقسنطينة)، أي بمجال الممالك النوميدية، في حين نقل كلما اتجهنا غربا، أي نحو المغرب.

² يتعلق الأمر بما نسميه المجال البوني الأفريقي الذي يشمل المناطق الأفريقية التي خضعت للسيطرة القرطاجية المباشرة. ويمتد هذا النطاق حسب الدراسة التي أنجزناها بهذا الخصوص من هيبوريكيوس (عنابة) بشرق الجزائر إلى مذابح فيلان بالسرت الكبرى ضاماً، باتجاه داخل الأراضي، جزءاً من البلاد النوميدية بوسط وغرب تونس، والشريط الساحلي الممتد بين السرت الصغرى والكبرى. راجع: عبد اللطيف الركيگ، 2007، ص.ص، 57-79

صورة غير دقيقة حول انتشار اللغة البونية ووضع اللغة الليبية إزاءها³. ذلك أن النقائش تعكس اللغة الرسمية التي اعتمدها الدولة واستعملت في تدوين الوثائق العامة كالتعريفات القربانية وقوائم التقدّمات والأنصاب التذكارية والجنائزية والنذرية (Fevrier, 1984: 221).

عرفتنا النصوص القديمة باللغة المستعملة في الكتابات الأدبية مثل إشارة سالوست Salluste إلى الكتب البونية (Salluste, XVII, 8)، وتآليف المؤلف الزراعي ماغون Magon بنفس اللغة⁴، وحديث القدامى عن مكتبة قرطاج وما احتوته من تآليف. كما تكشف النقائش عن وجود كتبة مختصين في نقش الكتابات لفائدة العموم من خلال لقب سفر (650) بمعنى "كاتب" في نقائش قرطاج (CIS I, 277 ; 273 ; 240-242)، ولقب رئيس الكتبة رب سفرم (275027) في نقائش الحفرة بالجزائر (Berthier et Charlier, 1955). ويبدو أن هؤلاء الكتبة قد احتكروا استعمال الكتابة واللغة الرسميتين في الأغراض المدنية، بينما اضطلع الكهنة بدور ما في الاستعمالات الدينية. والغالب على الظن أن استعمال اللغة المكتوبة لم يكن في متناول الجميع، وأن فئة قليلة من السكان هي التي تمكنت من تعلمها في "مدارس". وتبعاً لذلك، فمن المنطقي أن يحافظ السكان الأمازيغ، خاصة بالمناطق التي لم ينتشر بها المهاجرون الفينيقيون، على لغة أجدادهم، أي اللغة الأمازيغية القديمة.

كما يفترض أن تنتشر لهجات وسيطة في المناطق التي عرفت اختلاطاً بشرياً. فهذا ما يمكن استخلاصه من بعض النصوص الأدبية. فقد أخبرنا سالوست بأن لغة سكان لبدة بساحل السرت قد تغيرت بفعل الاختلاط بين الفينيقيين والسكان الأمازيغ (Salluste, LXXVIII, 4). وأشار سيليوس إيطاليكوس Silius Italicus إلى قبائل أفريقية تتكلم لغتين (Silius Italicus, II, 56). بينما زعم بومبونيوس ميلا بأن عدداً قليلاً من سكان منطقة لبدة هم الذين حافظوا على لغتهم (Mercier, 1924: 200) وهو الأمر الذي سائرته بعض الدراسات المعاصرة، فقد اعتبر

³ يتعلق الأمر بمصطلح علمي أطلقه اللسانيون على اللغة الأمازيغية القديمة. ويسود استعمال مصطلح "ليبية" في معظم الدراسات المعاصرة مع ظهور قراءات جديدة للإسم كما ورد في النصوص الإغريقية. ففي تونس يستعمل الباحثون مصطلح "لوية". أما في المغرب فقد اقترحت ذة. حليلة غازي (2006، ص. 69-90) تعويض المصطلحات المستعملة بمصطلح "ليبووية" طالما أن حرف (Y) الوارد في النصوص القديمة يقرأ في الكتابتين اليونانية واللاتينية بصوت (U). لمزيد من التفاصيل راجع ما كتبه الباحثة بهذا الخصوص.

⁴ Varron, apud Plin l'ancien, *Histoire Naturelle*, III, 1 [1], citation de Bunnes G., 1983, p. 236

مرسيي Mercier بأن المجال البوني الأفريقي عرف استمرار تداول اللغة الأمازيغية بموازاة نشوء لهجات محلية (Silius Italicus, II, 56) ، بالإضافة - طبعا- للغة البونية.

إذا كان التوزيع المجالي للمعطيات النقائشية يسمح بافتراض انتشار اللغة البونية، فإنه لا يكفي لمعرفة مدى اتساع استعمالها من طرف سكان المجال البوني الأفريقي؛ وبالتالي الحكم بأن استعمال البونية قد تم على حساب اللغة الأمازيغية التي يفترض استعمالها من طرف قسم من السكان الذين حافظوا على مقوماتهم الحضارية ولم يتأثروا كثيرا بقرطاج. خصوصا وأن لغة التداول اليومي في المناطق البعيدة عن المدن -والتي تعد منطقتها الأكثر انتشارا إذا ما قورنت باللغة المستعملة في الكتابة بالمدن- لا تترك في الغالب آثارا مادية يمكن أن تبرهن على أهمية استعمالها على خلاف اللغة المكتوبة.

يساعدنا البحث عن انتشار الكتابة الليبية بالمجال البوني الأفريقي على توفير بعض المعطيات حول استعمال اللغة الليبية القديمة بالمجال البوني، ومدى تزامنها مع اللغة البونية مع الأخذ بعين الاعتبار ملاحظتنا السابقة بشأن مدى إفادة النقائش للتعريف باللغة المستعملة. استخلص الباحثان فنطر (فنطر، 1999 : 6) وغاقي (1999 و Ghaki 1984) من خلال توزيع النقائش بأن اللغة الليبية لم تصمد أمام تقدم اللغة البونية في المجال الأفريقي إلا في المناطق التي لم يشملها التأثير الفينيقي ولاسيما في الجبال والفلوات. ويرى غاقي (Ghaki, 1984 : 94) أنه لم توجد آثار مادية لاستعمال اللغة والكتابة الليبية بالمجال القرطاجي طبعا حسب تصوره لنطاق ذلك المجال. ولذلك ميز، على ضوء توزيع النقائش الليبية والبونية، بين مجالين لغويين، واحد بوني يقع تحت سيطرة قرطاج، وآخر لبيوي خارج مجال نفوذها.

و صحيح أنه لم توجد لحد الآن نقائش ليبية بموقع قرطاج. كما تغيب آثار الكتابة الليبية بالسواحل التي خضعت لقرطاج وبالجزر القريبة منها، وبسهول الحوض الأسفل لمجردة وسليانة ومنطقة رأس بون. مما يعني أن آثار اللغة الليبية تنعدم بصفة عامة بمجال سيطرة قرطاج خلال الحرب البونية الثالثة (Ghaki, 100 : 1984). ولم يعثر على نقائش ليبية أو ليبية- بونية في المدن الكبرى الخاضعة لقرطاج مثل أوتيكا، وحضروميت⁵، ولمطة الكبرى، إلخ. وقد يفسر ذلك نظريا بسيطرة اللغة البونية كلغة رسمية. وتبعاً لذلك ساد ميل قوي لدى الباحثين

5 ينطق اسم المدينة، وهي سوسة الواقعة على الساحل الشرقي التونسي، قديما في النصوص اللاتينية بصيغة حضروميت (Hadrumetum). هذه الإفادة من نقاش شفوي مع ذة. حليلة غازي، أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب بالرباط.

لجعل مجال استعمال الليبية محصورا في البلاد النوميديّة والمورية (Ghaki, 1984:100).

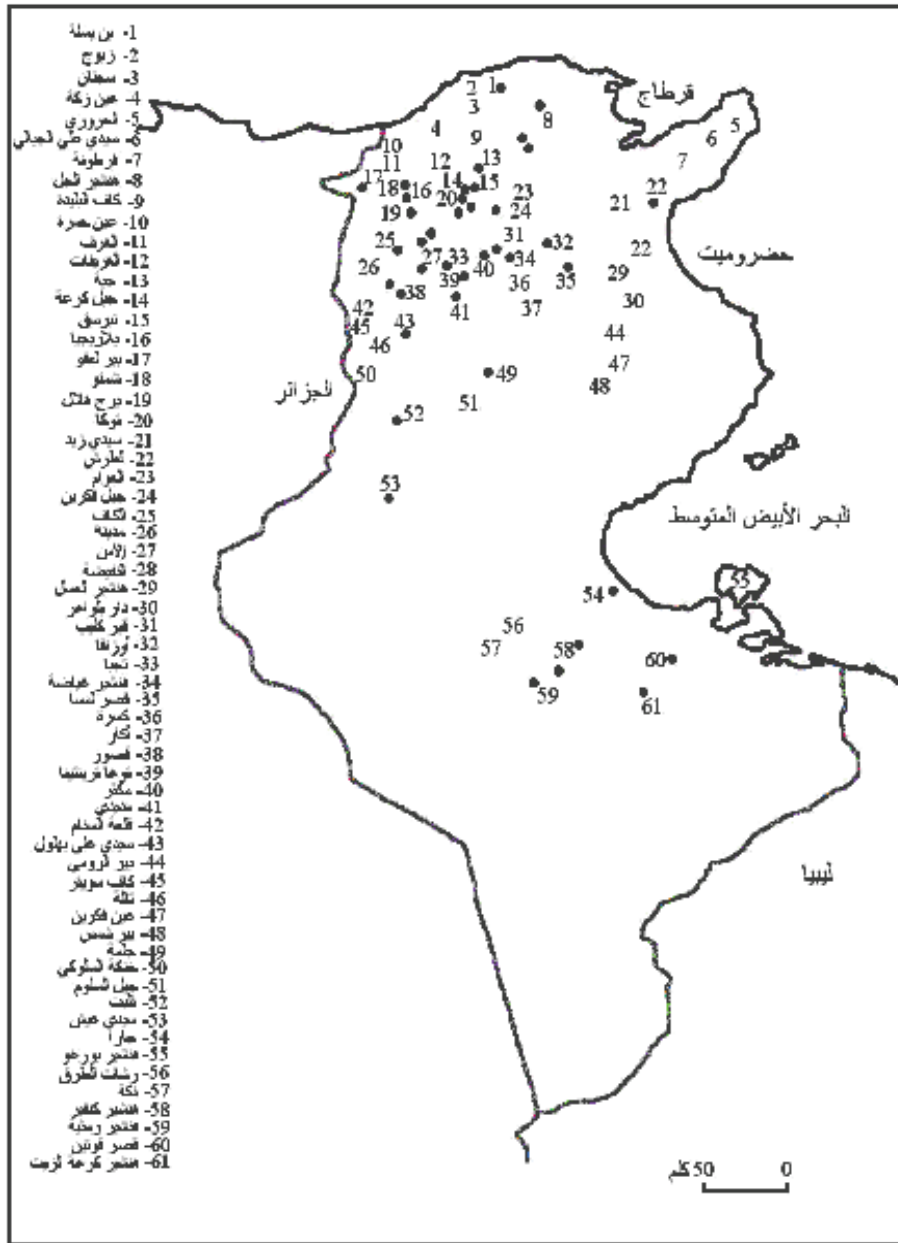
لكن مقارنة جديدة أصبحت تفرض نفسها مع بروز معطيات في ميدان النقائش الليبية بالمجال المفترض لكلتا اللغتين. فقد اكتشفت خربشات ليبية بحانوت جبل المنكوب غير بعيد عن قرطاج، فضلا عن نقيشة مماثلة بعين الدراهم شمال تونس. ولهذا يصعب الاستنتاج بناءً على المعطيات الحالية بأن هناك مجالا خاصا باللغة البونية، ويستحسن إعادة النظر في التقسيم المقترح من طرف غاقي لاعتبارات أخرى غير مرتبطة بوجود نقائش ليبية من عدمه. منها أن التمييز بين مجال خاص باللغة والكتابة البونية، يوافق مجال السيطرة القرطاجية من جهة، وبين مجال الكتابة واللغة الليبية، يطابق ممتلكات النوميديين غرب قرطاج من جهة أخرى، نابع من محاولة إيجاد علاقة بين مواقع انتشار الكتابة الليبية والحدود السياسية الناتجة عن نتائج الحرب البونية الثالثة من جانب، وبين تاريخ ذلك الحدث وتاريخ أقدم نقيشة ليبية- وهي نقيشة توگا Tougga المؤرخة بحوالي 139 ق.م- من جانب آخر، وكان اللغة والكتابة لم تعرف طريقها إلى المجال النوميدي الذي كان تابعا لقرطاج (غرب تونس) إلا بعد سقوط قرطاج إثر الحرب البونية الثالثة. كما يبدو من الصعب في نظرنا- سيما على ضوء وجود سكان أصلاء بالمجال التابع لقرطاج وبهذه الأخيرة نفسها- أن نحدد اللغة المستعملة من خلال النقائش المكتوبة فقط.

إن اللغة السائدة -على الأرجح- خلال الفترة القديمة هي لغة التخاطب الشفوي لأن حظ الغالبية الساحقة في تعلم اللغة والكتابة في "المدارس" يبدو ضئيلا. ولذلك، فاستعمال اللغة الليبية من طرف السكان الأمازيغ بالمجال البوني أمر منطقي ولا يحتاج إلى أدلة. كما لا يجب على المختص أن يستبق نتائج الأبحاث المستقبلية فيلغي إمكانية العثور على نقائش ليبية، أو احتمال وجود نقائش لم تصل إلينا بسبب ضياعها أو عدم اكتشافها لحد الآن. فإذا انطلقنا فقط من تاريخ نقيشة توگا، نجد أنه لا معنى للاعتقاد بأن سكانها لم يتداولوا اللغة أو حتى الكتابة الليبية إلا بعد ضم مدينتهم من طرف الملوك النوميديين عقب الحرب البونية الثالثة.

يمكن البحث في التوزيع المجالي والإطار الكرونولوجي للنقائش الليبية بالمجال الإفريقي الذي كان خاضعا لقرطاج من أخذ فكرة عن أهمية اللغة الليبية القديمة في حياة سكان تلك المناطق. لقد تركزت النقائش التي عثر عليها لحد الآن على ذلك الجزء من المجال النوميدي الذي كان تابعا لقرطاج قبل أن يفتطعه النوميديون خلال الحرب البونية الثالثة. وهو المجال الذي يقع بغرب تونس،

وخصوصا في الشمال الغربي للبلاد حيث آثارها في السهول والتلال التونسية وجنوب الظهر التونسي في مواقع توگا ومكثر ومغراوة وهنشير غياضة وتبرسق (Chabot, 1940 و Ghaki, 1984 : 96)، وبمواقع أخرى بغرب تونس (1940 Chabot, فنطر، 2002 : 11) كما توضح الخريطة.

أهم مواقع الآثار ولتقائش لليبية بتونس



GHAKI, M., 1995, "La répartition des inscriptions libyques...", p. 97

المصدر: يتصرف عن :

بعض ملامح التفاعل بين اللغتين الليبية (الأمازيغية العتيقة) والبونية خلال الفترة القرطاجية

إلا أن الاهتمام بمجموع آثار الكتابة الليبية بتونس وليبيا يكشف عن وجود نقائش ليبية في مناطق أخرى من غير البلاد النوميديّة التي أشرنا إليها سالفًا، والذي صنّف كـمجال للكتابة واللغة الليبية. ومن أمثلة ذلك نقائش وسط تونس (Chabot, 1940:52-54) غير بعيد عن قرطاج وكذلك نقائش جنوب البلاد (-Chabot, 1940:58) و70 (Poinssot, 1933:29) وبالساحل الليبي (Rebuffat, 1975 : 165). ورغم ضعف أهمية الوثائق المذكورة من الناحية الكمية، فإن لها دلالة فيما يخص تداول اللغة الليبية القديمة في المجال الأفريقي الذي كان تابعًا للدولة القرطاجية، وليس فقط البلاد الأفريقية التي اقتطعها النوميديون بعد الحرب البونية الأخيرة. بل نجد خربشات ليبية بمواقع لا تبعد كثيرًا عن مدينة قرطاج كما يتضح من نقيشة حانوت المنكوب وسيدي محمد الأطرش برأس بون وحانوت عين الدراهم بمنطقة الخمير (Ghaki, 1984:194).

وعلى ضوء ما سلف، لا يبدو ممكنا الحديث عن تقسيمات مجالية تفصل بين مجال استعمال البونية والليبية القديمة، واستبعاد استعمال اللغة الأم بالنسبة لذلك العدد الكبير من الساكنة المحلية التي كانت قرطاج تراقب مجالها وذلك بمبرر قلة النقائش. فهذا الأمر يشمل أيضا معظم مناطق شمال أفريقيا بما فيها تلك التي لم تثبت تبعيتها لقرطاج. ذلك أن عدم العثور على النقائش بمجال معين لا يعني بالضرورة عدم استعمال لغة معينة به. فإذا قارنا مجال توزيع المدافن المنسوبة للسكان الأمازيغ بالمجال البوني الأفريقي بمجال توزيع الكتابة الليبية سنلاحظ تناقضات كثيرة تدعم ما خلصنا إليه. فقد وجدت آثار الكتابة الليبية في مناطق الصروح الميغالييتية بالتلال والسهول التونسية (توگًا ومكثر والظهر التونسي عموما) حيث وجدت دلائل تأثير قرطاج. وعلى خلاف ذلك تتعدم آثارها في مجال الحوانيت (رأس بون مكود والخمير) باعتبارها قبورا محلية نقل فيها التأثيرات القرطاجية (Ghaki, 1984 :96). ويضاف لما سبق أن النقائش دونت في بعض مناطق المجال البوني الإفريقي باللغتين البونية والليبية في عدة مواقع من بينها توگًا، وبرج هلال، ومكثر بوسط وغرب تونس (Ghaki, 1984 :105).

غير أن معرفة تجاور اللغتين والكتابتين يطرح إشكالا كرونولوجيا يرتبط بصعوبة إثبات تزامن استعمال اللغتين خلال الفترة البونية ما دام أن النقائش المشار إليها تؤرخ بفترات لاحقة لسقوط قرطاج (Fevrier, 1984:322). وإذا كان محتوى بعض النقائش قد ساعد على عملية التأريخ، فإن العثور على أخرى خارج أي سياق أثري مضبوط يجعل تأريخها قائما على افتراضات قابلة للنقاش. ومع ذلك، تقدم النقائش المزدوجة إفادات مهمة في هذا الإطار. فإذا كان أقدم نص من هذا النوع

(نقيشة توگا) يؤرخ بحوالي 139 ق.م، فإن هذا التاريخ يمثل مؤشرا على ما كان عليه الأمر قبل ذلك، أي استعمال اللغة الليبية خلال فترة السيطرة القرطاجية في الأغراض المدنية والجنائزية. إذ ليس من المنطقي أن نحصر ذلك بالفترة التي أرخت بها النقيشة، حيث لا يستبعد أن يعكس ذلك الاستعمال المزدوج تفاعلا حدث بين اللغتين قبل الربع الثاني من القرن 2 ق.م تاريخ افتكاك جزء من البلاد من السيطرة القرطاجية. كما أن ربط استعمال اللغة الليبية بالمناطق المذكورة بفترة السيطرة النوميدية والاعتقاد بأن الملوك النوميديين هم من نشر استعمال اللغة الليبية في تدوين الوثائق الرسمية لا يبدو دقيقا وإلا فبماذا نفسر تفضيل اللغة البونية كلغة للكتابة في عواصم الممالك النوميدية نفسها؟

لقد مكنت محاولات تأريخ الأنصاب الليبية التي عثر عليها بغرب تونس بالإضافة إلى إفادات تأريخ الوثائق الرسمية المشار إليها من طرح مسألة قدم استعمال الليبية بالبلاد النوميدية التي استولى عليها الملوك النوميدون عقب الحرب البونية الأخيرة. فقد تم تأريخ بعض الأنصاب بالقرن 3 ق.م (Hachid, 2000 : 181)، وهناك من اقترح إرجاعها إلى القرن 4 ق.م (Galand, 1989 : 70). علما بأن حروفا ليبية على إحدى الشقف الخزفية في تيديس (Tiddis) التي لا تبعد كثيرا عن توگا، أرخت بما بين 350 و 150 ق.م (Camps, 1977 : 156). ومن هنا يمكن النظر لتداول الكتابة واللغة الليبية في مناطق كانت خاضعة لقرطاج مثل توگا، ومكثر، وتبرسق بمثابة مؤشر يبين صمود تلك اللغة، واستمرارها بتلك المناطق رغم تأثير البونية كلغة رسمية، وبالتالي تمسك الأفارقة بلغتهم الأم.

ولذلك يبدو من المنطقي الاتفاق مع بعض الدراسات التي خلصت إلى استنتاجات متشابهة رغم اختلاف المقاربات مثل الرأي الذي عبر عنه لينسكي (Lipinski, 1993 : 254) لما طرح فرضية استمرار اللغة الليبية إلى جانب البونية في الأرياف والمدن، واستنتاج كامبس (Camps, 1987 : 55) بأن الأنصاب والنقائش المزدوجة ونقائش الحوانيت تعطي فكرة عن استمرار تداول الليبية في البلاد الأفريقية. ولا يستبعد أن بعض الأمازيغ فضلوا التمسك بالإرث اللغوي القديم، بينما آثر آخرون استعمال الكتابتين واللغتين معا (Gsell, 1929 : 107). وكيفما كان الأمر، فإن المعطيات المتوفرة تسمح بتأكيد تزامن استعمال اللغتين وعدم اندثار اللغة الليبية نتيجة انتشار البونية. رغم أنه يبقى من الصعب فهم سر حاجة نفس الساكنة إلى التعبير-كما تدل على ذلك النقائش المزدوجة- بلغتين وكتابتين.

ورغم أهمية القراءات الجديدة، فإن معرفة مدى انتشار تداول اللغة الليبية خلال الفترة القرطاجية يبقى غامضا ولو أن انتشار السكان الأمازيغ يوحى بأن ذلك

بعض ملامح التفاعل بين اللغتين الليبية (الأمازيغية العتيقة) والبونية خلال الفترة القرطاجية

الاستعمال كان واسعا، إذ لا نعثر خارج توگًا على دليل يثبت استعمال اللغة الليبية في الوثائق الإدارية الرسمية. ومن هذا المنطلق، استنتج البعض بأن تداول اللغة الليبية أصبح محصورا بسبب انتشار البونية كلغة رسمية (Lancel, 1992 : 374). بينما أضاف البعض الآخر عامل تراجع تقاليد الكتابة عند الأمازيغ وقلّة الكتابة والعارفين بتلك الكتابة (Mercier, 1924 : 288)، أو ربما طغيان الخطاب الشفوي لدى هؤلاء السكان. وهذا أمر محتمل بالنظر لصعوبة الحكم بتراجع الليبية كلغة تخاطب أمام تقدم البونية فقط من خلال البقايا المادية لأن اللغة الشفهية لا تترك بقايا مادية مباشرة. ومن ناحية أخرى، فإن استمرار اللغة الأمازيغية في مناطق بالجنوب التونسي (جربة ومطماطة) يعطي فكرة عن صمود اللغة في تلك الربوع بعد انصرام مئات القرون على سقوط قرطاج.

2- العلاقات اللغوية بين البونية والليبية

تصطدم دراسة العلاقات اللغوية بين البونية والليبية القديمة بعدة مصاعب، من أهمها ضعف معرفتنا بالمكونات اللغوية لكلتا اللغتين. إذ رغم كثرة النقائش البونية، يبقى من الصعب التوفر على عدد مهم من ألفاظ وتعابير تلك اللغة في حين تطرح معرفة المعجم الليبي صعوبات أكثر حدة. يضاف لذلك عدم اهتمام الكتاب القدامى بالحديث عن لغة السكان الأمازيغ بسبب جهلهم بها⁶. لذلك تبقى النقائش الليبية هي المصدر الأساسي لدراسة اللغة الليبية القديمة وفهم علاقتها باللغة البونية.

لقد عثر بتونس وليبيا وباقي الأقطار المغاربية على عدد كبير من النقائش الليبية حيث أصبح عدد الوثائق يفوق الألف. غير أن دراسة تلك النصوص وتفكيك رموزها وقراءة ألفاظها وفهم معانيها ما زال أمرا معقدا ونتائجه غير مؤكدة باتفاق معظم المختصين (Fevrier, 1984 : 322). لقد اتضح من خلال المحاولات التي تمت في هذا الإطار مدى ضعف إفادة النقائش الليبية بسبب قلة الألفاظ والصيغ والأفعال والتعابير مقابل كثرة أسماء الأعلام بفعل الطابع الجنائزي والتذكاري للنقائش (Fevrier, 1956 : 264). كما تتسم الألفاظ التي ميزها الباحثون في تلك الوثائق بعدم التنوع نظرا لتكرارها باستمرار دون أن يتمكن علماء اللغات القديمة من فهم معانيها (Chabot, 1921 : 68). كما لم تساهم نقائش الصحراء في توفير ما يسمح بفك الغموض الذي يطبع نقائش المناطق التالية بسبب طابع الاختصار الذي يطغى عليها (Hachid, 2000 : 186).

6 انظر بعض النصوص التي تحدثت عن لغة الأصلاء بكيفية غير مباشرة :

- Hérodote, IV, 183 ; Pline l'ancien, V, 1 ; Salluste, XVIII, 8.

دفع ضعف فائدة الكتابات على الأنصاب إلى تركيز الاهتمام على النقائش المزروجة (ما يناهز 20 نقيشة في شمال أفريقيا) بسبب التقدم النسبي المسجل في فهم النقائش البونية. لكن إذا استثنينا نص توگا فإن معظم النصوص تتميز بقصرها، وبالتالي قلة ألفاظها وضعف أهميتها من الناحية اللغوية. ينضاف إلى ذلك عائق موضوعي آخر يعترض دراسة اللغة الليبية، ويتمثل في تصدي علماء اللغات السامية للبحث في قضاياها. لقد أدى جهل هؤلاء باللغة الأمازيغية الحديثة وعلاقتها باللغة الليبية القديمة⁷، فضلا عن العوائق الموضوعية الأخرى التي تعترض دراسة من هذا القبيل، إلى جعل الدراسات اللسانية مقصورة على البحث عن تأثير اللغة البونية في الليبية وليس العكس. علما أنه من المنطقي تماما أن تنشأ عن تجاور مكونين لغويين بنفس المجال الجغرافي دينامية خاصة من التفاعل على مستوى أهم عناصر اللغة، خصوصا إذا أخذنا في الحسبان المعطيات البشرية للمجال الأفريقي البوني الذي استعمل اللغتان في ربوعه. ذلك أن العنصر الفينيقي الذي أدخل اللغة الفينيقية لم يكن يعيش وحده بذلك المجال، بل اختلط بعدد كبير من السكان الأمازيغ الذين يفترض أنهم استعملوا لغتهم الأم كأداة للتخاطب اليومي.

إلا أن الطابع الأحادي الذي ميز أولى الدراسات اللسانية لجهة الاهتمام بالفينيقية وتطورها بأفريقيا حال دون إحراز تقدم كبير في معرفة التفاعل الذي حصل على الأرض الأفريقية بين المعجم الليبي والبوني، وبالتالي لا يمكن الادعاء بأن الأبحاث اللسانية قد توفقت في تمييز الألفاظ ذات الأصل الفينيقي في اللغة البونية عن تلك المستمدة من اللغة الليبية القديمة. فإذا كانت النقائش الفينيقية في الشرق قد ساعدت على معرفة بعض الألفاظ الفينيقية المستعملة في اللغة البونية بأفريقيا، فإنه من غير الممكن تعميم تلك القواسم المشتركة على كل المعجم البوني نظرا لضعف حظنا من ألفاظ تلك اللغة. كما ينبغي الحذر أيضا من محاولة رد بعض الألفاظ البونية التي لها معنى في اللغة العربية بصفة تلقائية إلى أصل فينيقي. فإذا كانت اللغة العربية قريبة من الفينيقية، فهي مختلفة عنها في نواح كثيرة (Mercier, 1924 : 199). وبالتالي فإن التماثل الصوتي بين بعض الألفاظ البونية والعربية لا يلغي فرضية الأصل الليبي⁸ (Peyras, 1986) نظرا لاحتمال وجود علاقات لغوية قديمة بين اللغتين الفينيقية والليبية.

7 كان أوائل الباحثين في اللغة البونية والليبية أقل الماما باللغة الأمازيغية، وكان بعضهم يجهلون كل شيء عن تلك اللغة. و يمكن الاستشهاد هنا بالرسائل المتبادلة بين أبرز الذين اهتموا بالأبحاث اللغوية وهما : شابو ومارصي، والتي تتضمن اتهامات متبادلة بجهل اللغة الأمازيغية : (Marcy, 1937 : 143).

⁸ Peyras M., (Discussion) dans Sznycer, M., 1986

بعض ملامح التفاعل بين اللغتين الليبية (الأمازيغية العتيقة) والبونية خلال الفترة القرطاجية

إذا انطلقنا من مقارنة بعض ألفاظ اللغتين من خلال النصوص المزدوجة ب
توگا، سنلاحظ ما يوحي باستقلال اللغتين عن بعضهما البعض، حيث نجد لمعظم
ألفاظ النص البوني مقابلا في النص الليبي (انظر الجدول رقم I). كما نجد ألفاظا
بونية لا مقابل لها في النص الليبي مثل : واو العطف، حيث إن النص البوني
يتضمن أسماء أعلام يفصل بينها واو العطف، وهو ما لا نجده في النص الليبي،
حيث كُتبت الأسماء دون وجود أداة تعوض واو العطف في النص البوني (Galand, 1973 : 91).

استنتج البعض من النقائش المزدوجة بأن اللغة الليبية تأثرت ببعض ألفاظ
المعجم البوني سواء من خلال استعمال أسماء الأعلام البونية المرتبطة
بالألوهية (30 : 1961, Camps)، أو من خلال الأصل البوني لبعض كلمات الليبية
القديمة (37 : 1988, Behrens) كما يمكن أن يُفهم من نقل ألفاظ بونية إلى النص
الليبي دون ترجمة. فلا يستبعد أن المعجم الليبي قد تعزز بمفردات جديدة نتيجة
لإدخال الفينيقيين أفكار مختلفة وأدوات لم تكن معروفة بالمنطقة، وبالتالي أسماء
للإشارة جديدة إليها. غير أنه لا يمكن الإدعاء بأن اللغة الليبية قد فقدت -نتيجة
لذلك- سماتها كلغة مستقلة (199 : 1924, Mercier). ذلك أن قلة المفردات
المدروسة يدفع إلى التقليل من أهمية تأثير البونية في الليبية على المستوى المعجمي
(200 : 1924, Mercier).

الجدول رقم I : بعض الأمثلة لاختلاف ألفاظ اللغتين البونية والليبية من خلال النقائش المزدوجة

النص الليبي	النص البوني	المعنى التقريبي
ص ك أ	ب ع ل أ ت	في النص الليبي يعني "مدينة" وفي النص البوني تعني على الأرجح "سكان المدينة"
ب ن ي	ب ن أ	بنى
ف ش ج	ت م ق ر	ضريح/معبد
م (م س ن سن)	ل (م س ن س ن)	لام النسبة
أ ك ل د ت	م م ل ك ت	ملك
أ و	ب ن	ابن
ش ف ط	ش ف ط	الشوفط(والي كبير)
أ م و س ن ا ك ا	ر ب ت م أ ت	قائد المائة
م ص ي ص ك و ا	م ص ص ك و ي	معماري!
أ ك ز ب ا	ج ز ب ي	المكلف بالبناء!
أ س ك و س	ش ن ت	سنة
ج م ي ل أ	ج ي م ل	الجمال!
أ	هـ	أداة التعريف
ك س ل ن س	ب أ ز ر ت	الحفارون!
ش ك ر ي	ش ي ر	الجير!

المصدر بتصرف عن: (Marcy, 1936) و (Chabot, 1940).

أما فيما يخص تأثير الليبية القديمة في اللغة البونية، فإن حضور أسماء الأعلام الليبية في النقائش البونية يمثل مؤشرا هاما على التأثير المفترض (Mercier, 1924 : 200). والذي يبدو منطقيا بحكم تعايش الفينيقيين والأمازيغ. لكن تلك الأسماء، التي ربما كان من بينها أسماء مرتبطة بالألوهية، ما زالت معانيها مجهولة لحد الآن، مما لا يمكّن من فهم دلالاتها ومحاولة التقرب أكثر من بعض عناصر اللغة الليبية التي كانت مستعملة بسبب صعوبة توظيف الأمازيغية الحديثة في الدراسات التي أنجزت. افترض كسيل أن المعجم البوني قد اقتبس الكثير من ألفاظ اللغة الليبية القديمة، لكن دون أن يؤثر ذلك في نظره على بنية تلك اللغة واستقلاليتها (Gsell, 1929 : 112)، وهو ما يبقي تلك الفرضية مطروحة للنقاش إلى أن يحرز تفكيك الليبية التقدم الذي يسمح بالحسم في هذا الأمر.

يعد الجانب الصوتي أحد أهم عناصر اللغة التي يمكن أن تختزن التفاعلات التي حصلت بين اللغتين. فقد مكنت النقائش المزدوجة من ملاحظة عدد من

عناصر الاختلاف بين اللغتين. فمعلوم أن ضعف النظام الصوتي للغة البونية يمثل إحدى العناصر اللغوية المميزة لهذه اللغة عن الفينيقية. وقد فُسر ضعف الصواتم الأقصى حلقيّة (الألف والعين والهاء والحاء) بتأثير اللسان الأمازيغي القديم في نطق الألفاظ البونية (الفرجاوي، 1993 : 155). وهكذا يتضح من خلال النقائش المزدوجة بأن الأمازيغ لم يكونوا ينطقون الصواتم الحلقيّة البونية، وإنما استعملوها كحركات أساسية Matres lectionis (Chabot, 1935 : 33 et Fervrier, 1984 : 327). ويتجلى ذلك في إبدال عدد من الصواتم البونية في اللغة الليبية، مثل تعويض حرف الياء بالألف (م ص ص ك ي تُصبح م ص ص ك أ) (Marcy, 1936 : 23) ، أو إبدال العين ياء (ج ع ي ي تنطق ج ي ي أ) (Mercier, 1924 : 25)، أو الزاي هاء (ز ل ل ص ن تُصبح ه ل ل ص ن) (Mercier, 1924 : 26). فهذه أمثلة دالة على التحولات الصوتية التي تسجل عند نطق اللفظ من البونية إلى اللغة الليبية. ويتضح هذا الأمر أكثر من خلال اختلاف كتابة أسماء الأعلام في اللغتين، والذي يمكن من رصد عدد من الظواهر الصوتية ولاسيما ضعف وإبدال الصواتم والتي ربما لحقت اللغة البونية بتأثير اللسان الأمازيغي (انظر الجدول رقم II).

تعكس التحولات الصوتية المذكورة سابقا بعض الأمثلة المفيدة للتعمق في دراسة تأثير الصواتم الليبية على اللغة البونية مع وجوب الإقرار بالطابع الجزئي للمعطيات الحالية. فنحن لا نعرف بالضبط التحولات الصوتية التي لحقت باقي ألفاظ اللغتين الليبية والبنونية. فاللغة البونية تعد حاليا لغة ميتة تعتمد على كتابة الحروف الصواتم دون الحركات، الأمر الذي يجعل محاولات تحديد العناصر الصوتية للألفاظ القليلة التي وجدت بالنقائش أمرا صعبا وتبقى نتائجه نسبية. كما لا يمكن الادعاء بأننا واثقون من أن اختلاف رسم أسماء الأعلام ناجم بالضرورة عن تغيرات صوتية صرفة، وليس بسبب أخطاء وقع فيها الكتبة أو نتيجة تحريف مقصود للأسماء.

جدول رقم II: التحولات الصوتية بين اللغة البونية والليبية من خلال أسماء الأعلام بالنقائش المزدوجة

اللغة البونية	اللغة الليبية
ج ع ي ي	ج ي ي أ
زل ل ص ن	هل ل ص ن
أ ف ش ن	ف ش ن
م ج ن	م ج ن/ ي
ت د ي ل ن	ت س د ي ل ن
ع ب د أ ش م ن	ش م ن
ز م ر	ه م ر
أ ش ي ن	ش ي ن
ت ب ج ج (إسم مدينة)	ت ب ج ج أ
ع ب د ش ت ر ت	و د ش ت ر ت
و ر س ك ن	و ر ت س ك ن
ي ف د ع ت	ي ف د ت
ب ع ل ش ل ك	ب ر ش ل ت
ج ر أ	ج ر هـ
ح ن ن	ه ن هـ
ب ع ل ح ن ن	ب ه ن هـ
ك ل م و	ك ل م هـ
س ك ر ب ع ل	س ك ب ل
ن ع م ج د أ	ن م ج د هـ
ب د ع ش ت ر ت	ب ش ت ر ت
ش د ن	س د ن

المصدر: عمل شخصي

أما بالنسبة للغة الليبية، فلا ينبغي إغفال ضعف معرفتنا بنظام الصوتية في الأمازيغية القديمة. ذلك أن تمييز المقابل الصوتي للحروف الليبية في النقائش المزدوجة لا يتعدى 14 حرفاً من ضمن حوالي 24 حرفاً لا نعرف طريقة نطقها بالضبط (74 : Galand, 1989). وهذا غير كاف بالنسبة لتطور البحث في موضوع التفاعلات الصوتية بين اللغتين البونية والليبية. ورغم ذلك، اعتبر مرسي (199 : Mercier, 1924) بأن اللغة الليبية تشترك مع البونية في بعض عناصر اللغة مثل النظام الصيغي والصرفي كما يتضح من خلال تمييز المؤنث باستعمال السابقة (تاء)، وكذلك الجمع باستعمال اللاحقة (نون) وأحياناً (ميم)، بالإضافة إلى تشابه النظام الصرفي للغتين. غير أن ضعف معطياتنا حول النظام الصيغي والصرفي

بعض ملامح التفاعل بين اللغتين الليبية (الأمازيغية العتيقة) والبونية خلال الفترة القرطاجية

للغة الليبية القديمة لا يسمح بالقيام بدراسة معمقة تمكن من معرفة حجم التلاقي بين اللغتين على هذا المستوى.

خاتمة

يستفاد من خلال استقراء المعطيات التي عرضنا إليها بشأن العلاقات بين اللغتين البونية والليبية، أنهما قد استعملتا جنبا إلى جنب خلال الفترة البونية مع تسجيل سبق الذي حازته اللغة البونية في تدوين الوثائق الإدارية والدينية مقابل ضيق استعمال اللغة الليبية في تلك الأغراض، رغم استمرارها كلغة للتداول والتخاطب الاجتماعي بالنسبة للغالبية العظمى من السكان المحليين. وقد سجلت النقائش المزدوجة الليبية-البونية بعض الظواهر اللغوية التي أسفر عنها ذلك التجاور على مستوى أهم عناصر اللغة ولاسيما الصواتة والمعجم. وإذا كانت قراءة النقائش المزدوجة قد مكنت من الوقوف على بعض نماذج التفاعل الذي حصل خلال العصر القرطاجي المتأخر، فإن رصد تلك الظواهر اللغوية يبقى صعبا بسبب ضعف محتويات الوثائق المتوفرة من أفاظ اللغتين معا. هذا فضلا عن أن ذلك التفاعل ربما تجسد بصفة أعمق في لغة التداول اليومي أكثر من اللغة المكتوبة. ويبدو بأن التفاعل اللغوي الذي حدث على الأرض الأفريقية قد انعكس في اللهجات المتداولة من خلال استعمال لهجة أكثر تحريفا من اللغة البونية الرسمية (Ferjaoui, 1991 : 483) رغم الصعوبات التي تطرحها البرهنة العلمية على ذلك.

ببليو غرافيا

الركيگ، عبد اللطيف (2007)، *الحضارة القرطاجية بين المحلي والمستورد، أطروحة* لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (مرفونة).

الفرجاوي، أ. (1993)، *بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ص ص. 155.*

غازي، حليلة (2006)، « آثار الفينيقيين والقرطاجيين بمملكة المغرب القديم بين البحث عن الواقع والجري وراء السراب »، *مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، العدد 26، ص ص 69-90.*

فنطر، م. ح. (1999)، « حول النقائش البونية »، *مجلة الدراسات الفينيقية والآثار اللوبية، العدد 11، ص ص. 1-35.*

فنطر، م. ح. (2002)، « معطيات حول الواقع اللغوي في تونس من قرطاج إلى القيروان » ضمن : *نشأة الكتابة في البلاد المغاربية، أعمال الندوتين المنظمتين من طرف مؤسسة آل سعود بالبيضاء أيام 17-18 يناير و 18-19 أبريل 2002، ص ص. 8-17.*

Behrens, P. (1988), « Langues et migrations des premiers pasteurs du Sahara : la formation de la branche berbère », *Libyca antiqua*, n° 11, pp. 31-53.

Berthier, A. et Charlier R. (1955), *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, AMG, Paris.

Bunnes, G. « La distinction entre phéniciens et puniques chez les auteurs classiques », in *Atti del I congresso internazionale di studi fenici e punici*, Roma 5-10 novembre 1979, Vol. I, Roma, 1983, pp. 231-238.

Camps, G. (1961), *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques*, AMG, Paris.

Camps, G. (1977), « Recherches sur les plus anciennes inscriptions libyques de l'Afrique du Nord et du Sahara », *BCTH*, n.s, n°10-11, fasc. A, pp. 143-166.

Camps, G. (1987), « Protohistoire de l'Afrique du Nord : questions de terminologie et de chronologie » *REPPAL*, Tome III, pp. 43-70.

Chabot, J.-B. (1921), « Les inscriptions libyques de Dougga », *Journal asiatique*, T. XVII, n°1, Janvier - mars, pp. 67-96.

Chabot, J.-B. (1935), « À propos d'inscription punique », *Revue Africaine*, 72^e année, n°364-365, 3^{ème} et 4^{ème} trimestres, pp. 27-34.

Chabot, J.-B. (1940), *Recueil des inscriptions libyques*, 1^{er} fascicule, Imprimerie nationale, Paris.

Ferjaoui, A. (1991), « À propos des inscriptions mentionnant les Suffètes et Rabs dans la généalogie des dédicants à Carthage », in *Atti del II congresso internazionale di studi fenici e punici*, Roma 9-4 novembre 1987, Vol. II, Roma, pp. 479-483.

Février, J.-G. (1956), « Que savons-nous du libyque », *Revue Africaine*, Tome C, pp. 263-273.

Février, J.-G. (1984), *Histoire de l'écriture*, Payot, Paris.

Galand, L. (1973), « Observations sur l'enchaînement du récit en berbère », in *Actes du 1^{er} congrès d'études des cultures méditerranéennes d'influence arabo-berbère*, Alger, pp. 81-99.

Galand, L. (1989), « Les alphabets libyques », *Antiquités Africaines*, T. 25, pp. 69-81.

Ghaki, M. (1979), *Recherches sur les rapports entre les phénico-puniques et les libyco-numides V^e siècle av. j.-c.-I^{er} siècle av. j.-c.*, Thèse de 3^{ème} cycle, Université de Paris I, Panthéon Sorbonne, (dactylographiée), Paris.

Ghaki, M. (1984), « La répartition des inscriptions libyques et les cités antiques » *BCTH*, n. s., 17, fasc. B, pp. 183-187.

Gsell, S. (1929), *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. IV, 2^e éd., Librairie Hachette, Paris.

Hachid, M. (2000), *Les premiers berbères*, Editions Berbères, p. 181.

Hérodote, *Histoires*, Livre IV, Texte Traduit par Legrand, P.E. (1949), Paris, éd. Les Belles-lettres.

Lancel, S. (1992), *Carthage*, Fayard, Paris.

- Levi Della Vida, G. (1927), « Le iscrizioni neopuniche della Tripolitania », *Libya Antiqua*, T.2, , pp. 1-26.
- Levi Della Vida, G. (1966-1967), « Iscrizione punico da Sabratha », *Libya Antiqua*, T. VIII-IX, pp. 9-11.
- Lipinski, E. (1993), « Langue », *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Brepols, Paris, p. 254.
- Longerstay, M.-S. (1983), « Les Houanet de Khroumirie et des Mogods », *Dossiers histoire et archéologie*, n° 69, Décembre 1982-Janvier 1983, pp. 9-15.
- Marcy, G. (1937), « Réponse à M. l'Abbé Chabot », *Revue Africaine*, Tome. LXXX, n° 371, 2^{ème} Trimestre, pp. 142-158.
- Marcy, G. (1936), « Les inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord », *Cahiers de la société asiatique*, n°V, Imprimerie nationale, Paris.
- Mercier, G. (1924), « La langue libyque et la toponymie antique de l'Afrique du Nord », *Journal Asiatique*, T. CCIV, Octobre-Décembre 1924, pp. 189-320.
- Poinssot, L. (1933), « Inscriptions libyques de Tunisie », *Revue Tunisienne*, n° 13-14, 1er et 2è Trimestre, pp. 19-30.
- Rebuffat, R. (1975), « Graffiti en libyque de Bu Njem » *Libya Antiqua*, Vol. XI-XII, 1974-1975, pp. 165-187.
- Salluste, *Guerre de Jugurtha*, XVII, XVIII.
- Szyncer, M. (1986), « Le problème de la "Mégara" de Carthage », in *Actes du IIIè colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord*, Montpellier 1-5 Avril 1985, CTHS, pp. 119-132.
- Varron Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, V, 1.